

حديث الزهري: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد))

واتهامه بوضعه

الأستاذ الدكتور

عمر محمد عبد المنعم الفرماوي

قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والآداب

جامعة تبوك

عضو لجنة ترقية الأساتذة في تخصص الحديث وعلومه

جامعة الأزهر

عضو الأمانة العامة للجنة الدولية للحديث بدبي

دولة الإمارات العربية المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

تكمن أهمية هذا البحث أن هناك كثيراً من المستغربين من أبناء جلدتنا قد اتبع سنن المستشرقين شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، في اتهام الإمام الزهري بالكذب محاباة لعبد الملك بن مروان وتعزية له وإرضاء لغروره حيث كان يُظن أن الخليفة عبد الله بن الزبير قد منع عبد الملك من القدوم للحجاز حاجاً أو معتمراً أو زائراً، فقام بافتراء حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وذكر منها المسجد الأقصى ليكون بديلاً للمسجد الحرام كذا قالوا.

وفي البحث رد على هذا الافتراء وبيان أن الزهري لم ينفرد بالحديث فضلاً عن أن عبد الملك بن مروان ما كان يعرف الزهري إلا بعد أن استقر له الأمر واستشهاد الخليفة عبد الله بن الزبير، فكيف يجامله باختراع هذا النص؟!

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. **وبعد.**

تكمن أهمية هذا البحث أن هناك كثيراً من المستغربين من أبناء جلدتنا قد اتبع سنن المستشرقين شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، في اتهام الإمام الزهري بالكذب محاباة لعبد الملك بن مروان وتعزية له وإرضاء لغروره حيث كان يُظن أن الخليفة عبد الله بن الزبير قد منع عبد الملك من القدوم للحجاز حاجاً أو معتمراً أو زائراً، فقام بافتراء حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وذكر منها المسجد الأقصى ليكون بديلاً للمسجد الحرام كذا قالوا.

وفي البحث رد على هذا الافتراء وبيان أن الزهري لم ينفرد بالحديث فضلاً عن أن عبد الملك بن مروان ما كان يعرف الزهري إلا بعد أن استقر له الأمر واستشهاد الخليفة عبد الله بن الزبير، فكيف يجامله باختراع هذا النص؟!

لذا فقد اقضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلى مطلبين وخاتمة

المطلب الأول: الدراسة الحديثية لحديث لا تشد الرحال، قد اشتمل على ثلاثة نقاط: تخريج الحديث، ودراسة الأسانيد، والحكم على الحديث.

المطلب الثاني: الحالة التاريخية وموقف المستشرقين ومن لف لفهم من الإمام الزهري

وفي الخاتمة ذكرت أهم نتائج البحث، وأتبعت ذلك بقائمة المراجع.

وقد حرصت على أن يكون البحث مكتوباً بأسلوب سهل، وعبارة واضحة، وتأصيل للمعلومة، حتى يؤدي البحث الغرض الذي كتب من أجله، وهو نصرة السنة، وقمع البدعة، وإخراس للمحاربين للسنة.

وقبل ذلك إرضاءً لله تعالى، ونصرة لنبيه سيدنا محمد ﷺ، وأملاً في أن أنال شفاعته يوم القيامة، وطمعاً في شربة من يده الشريفة؛ كي لا أظمأ بعدها أبداً، حتى يمنّ الله تعالى عليّ فيكرمني بدخول جنته، ودار كرامته؛ فهو الكريم، وولي ذلك وأهله، وهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة، وما ذلك على الله بعزيز، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأرجو ممن يستفيد من هذا البحث أن يشملني، ووالدي، وأهلي، وأولادي، ومشايخي، وكل من له حق عليّ بدعوة صالحة، علها تكون سبباً من النجاة من النار.

والحمد لله رب العالمين

أبو عبد الرحمن عمر محمد الفرماوي

الأستاذ في تخصص الحديث وعلومه بجامعتي الأزهر وتبوك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حديث الزهري: «لا تشد الرحال» واتهامه بوضعه

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا علي، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى».[1]

المطلب الأول: الدراسة الحديثية لحديث الباب:

النقطة الأولى: تخريج الحديث:

هذا الحديث مداره على أبي هريرة، وقد رواه عنه ستة: **سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وسليمان الأغر، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، وسعيد المقبري، وخيثم بن مروان.**

أ- أما حديث سعيد بن المسيب، فقد رواه عنه: الزهري، وقد رواه عنه الزهري خمسة: سفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد، ومحمد بن الوليد بن عامر الزبيدي، وصالح بن أبي الأخضر اليمامي، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي.

- تخريج طريق سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة.

البخاري،[2] من طريق علي بن المديني عنه به. (حديث الباب).

ومسلم،[3] من طريق زهير بن حرب، وعمرو بن محمد الناقد كلاهما عنه به. إلا أنه قدم مسجدي هذا على المسجد الحرام والمسجد الأقصى

---

(١) صحيح البخاري ٢٠-كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ١-باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢/ ٦٠ ح رقم ١١٨٩

(٢) صحيح البخاري ٢٠-كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ١-باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢/ ٦٠ ح رقم ١١٨٩

(٣) صحيح مسلم ١٥-كتاب الحج ٩٥-باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢ / ١٠١٤ ح رقم ١٣٩٨ (٥١١)

وابن الجارود في المنتقى،[1] من طريق محمد بن أبي عبد الرحمن المكي، ومحمود بن آدم المروزي كلاهما عنه به. إلا أنه قدم المسجد الأقصى على مسجدي هذا.

والنسائي في المجتبى،[2] من طريق محمد بن منصور بن ثابت عنه به.

وأحمد في المسند،[3] عنه بلفظ: تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد.

والحميدي في مسنده،[4] عنه به.

وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف،[5] عنه به.

وأبو داود،[6] من طريق مسدد عنه به. إلا أنه قال: مسجدي هذا

وأبو يعلى الموصلي في مسنده،[7] من طريق عمرو الناقد عنه، بتقديم مسجدي هذا.

والبزار في البحر الزخار،[8] من طريق محمد بن زياد وأحمد بن عبدة، واللفظ لمحمد، كلاهما عنه به.

والبيهقي في الكبرى،[9] من طريق أبي طاهر الفقيه، أنا أبو حامد بن بلال، ثنا يحيى بن ربيع المكي عنه به.

---

(١) المنتقى باب المناسك صـ ١٩٩ ح رقم ٥٦١

(٢) سنن النسائي كتاب المساجد باب ما تشد الرحال إليه من المساجد ١ / ١٥٩ ح رقم ٦٩٩ وفي الكبرى نفس الكتاب والباب ١ / ٣٨٨ ح رقم ٢٣٣

(٣) المسند للإمام أحمد ١٢ / ١٩١ ح رقم ٧٢٤٩

(٤) المسند للحميدي ٢ / ١٨١ ح رقم ٩٦٩

(٥) المصنف ابن أبي شيبة -كتاب المناسك - فيما تشد إليه الرحال ٨ / ٧٢٠ ح رقم ٤٥٩ ح رقم ١٥٧٨٢

(٦) سنن أبي داود ١١ - كتاب المناسك باب في إتيان المدينة ٢ / ٢١٦ ح رقم ٢٠٣٣

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي ١٠ / ٢٨٣ ح رقم ٥٨٨٠

(٨) البحر الزخار المعروف بمسند البزار ١٤ / ١٥٨ ح رقم ٧٦٩٢

(٩) السنن الكبرى للبيهقي كتاب الحج باب الخروج إلى مدينة الرسول ﷺ ٥ / ٢٤٤ ح رقم ١٠٣٧٣

وفي الكبرى أيضاً،[1] من طريق أبي الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنبأ أبو سهل بن زياد القطان ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا مسدد وعلي بن عبد الله كلاهما عنه به، وقال: قال ابن المديني هكذا حدثنا به سفيان هذه المرة على هذا اللفظ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، وأكثر لفظه: « تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد».

- تخريج طريق معمر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة:

أخرجه عبد الرزاق في المصنف،[2]من طريقه بلفظ: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد».

وأحمد في المسند،[3] من طريق عبد الأعلى عنه به.

وأخرجه أيضاً،[4] من طريق عبد الرزاق عنه به.

وابن أبي شيبة في المصنف،[5] من طريق عبد الأعلى عنه به في موضعين، الأول: بلفظ: «...ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى»، والثاني: قدم الأقصى على مسجدي هذا.

ومسلم،[6] من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى عنه، به، غير أنه قال: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد».

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي كتاب النذور باب من نذر المشي إلى مسجد المدينة أو مسجد بيت المقدس ١٠ / ٨٢ ح رقم ٢٠١٩٠

(٢) المصنف لعبد الرزاق كتاب المناسك باب ما تشد إليه الرحال والصلاة في مسجد قباء ٥ / ١٣٢ ح رقم ٩١٥٨

(٣) المسند للإمام أحمد ٣ / ١٥١٩ ح رقم ٧٢٧١

(٤) المسند للإمام أحمد ٢ / ١٦٢٦ ح رقم ٧٨١٠

(٥) المصنف لابن أبي شيبة - من أبواب صلاة التطوع - في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة ٥ / ١٧٦ ح رقم ٧٦١٩، وفي كتاب المناسك باب فيما تشد إليه الرحال جزء: ٨ صفحة: ٧٢٢ ح رقم ١٥٧٩٠

(٦) صحيح مسلم ١٥-كتاب الحج ٩٥-باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢ / ١٠١٤ ح رقم ١٣٩٨ (٥١٢)

وابن ماجه،[1] من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الأعلى، عنه به.

وابن حبان كما في الإحسان،[2] من طريق محمد بن الحسن بن قتيبة ، حدثنا محمد بن أبي السري ، قال حدثنا عبد الرزاق عنه به.

- تخريج طريق محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة:

أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار،[3] من طريق أبي أمية حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا محمد بن حرب عنه بلفظ: «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد».

وابن حبان كما في الإحسان،[4] من طريق: محمد بن عبيد الله بن الفضل الكلاعي بحمص قال حدثنا كثير بن عبيد عنه بلفظ: «إنما الرحلة إلى ثلاثة مساجد إلى مسجد الحرام ومسجدكم هذا وإيلياء».

- تخريج طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة:

أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار،[5] من طريق أبي أمية، ثنا عبد الغفار بن عبد الله الكريزي عنه بلفظ الزبيدي السابق.

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ٢ / ٤١٥ ح رقم ١٤٠٩

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان كتاب الصلاة باب المساجد (ذكر خبر أوهم عالما من الناس أن شد المرء الرحلة إلى مسجد غير المساجد الثلاث التي ذكرناها غير جائز) ٤ / ٤٩٨ ح رقم ١٦١٩

(٣) شرح مشكل الآثار باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، ومن فضل الصلاة فيها على غيرها من المساجد، وفي تساويها في ذلك، أو في فضل بعضها بعضا فيه ٢ / ٥٧ ح رقم ٥٩٣

(٤) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان كتاب الصلاة باب المساجد (ذكر خبر يخالف في الظاهر الفعل الذي ذكرناه) ٤/ ٥٠٩ ح رقم ١٦٣١

(٥) شرح مشكل الآثار باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، ومن فضل الصلاة فيها على غيرها من المساجد، وفي تساويها في ذلك، أو في فضل بعضها بعضا فيه ٢ / ٥٨ ح رقم ٥٩٥

- تخريج طريق عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة:

أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار،[1] من طريق فهد، حدثنا ابن صالح، حدثني الليث، عنه بلفظ: «إنما الرحلة إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدكم هذا، ومسجد إيلياء».

٢- وأما حديث أبي سلمة، فقد رواه عنه ثلاثة: محمد بن عمرو، ويحيى بن أبي كثير، والزهري.

أما حديث محمد بن عمرو بن علقمه، فقد أخرجه:

الدرامي في سننه،[2] من طريق يزيد بن هارون عنه بلفظ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ، ومسجدي هذا ، ومسجد الأقصى».

وأحمد في المسند،[3] من طريق يزيد عنه بلفظ: «لا تشد الرحال إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى».

البزار في البحر الزخار،[4] من طريق محمد بن بشار، نا يزيد بن هارون عنه به.

الطحاوي في مشكل الآثار،[5] من طريق علي بن شيبة عن يزيد بن هاورن به.

وأما حديث يحيى بن أبي كثير فقد أخرجه:

---

(١) شرح مشكل الآثار باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، ومن فضل الصلاة فيها على غيرها من المساجد، وفي تساويها في ذلك، أو في فضل بعضها بعضا فيه ٢ / ٥٧ ح رقم ٥٨٧

(٢) سنن الدارمي كتاب الصلاة باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد جزء ٢ / ٨٩١ ح رقم ١٤٦١

(٣) المسند للإمام أحمد ٢ / ٢١٦٧ ح رقم ١٠٥٩٨

(٤) البحر الزخار للبزار ١٤ / ٣١٧ ح رقم ٧٩٦٧

(٥) شرح مشكل الآثار للطحاوي باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ٢ / ٥٨ ح رقم ٥٩٥

والطحاوي في مشكل الآثار،[1] من طريق يحيى بن عثمان، حدثنا محمد بن عبد العزيز الواسطي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عنه بلفظ: قال: لقيت أبا بصرة صاحب رسول الله ﷺ فقال لي من أين أقبلت؟ قلت: من الطور حيث كلم الله موسى، فقال له: لو لقيتك قبل أن تذهب لزجرتك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي بالمدينة».

وأما حديث الزهري فقد أخرجه:

الطحاوي في شرح مشكل الآثار،[2] من طريق ابن أبي داود حدثنا أبو اليمان عن شعيب عنه به.

٣- وأما حديث سلمان الأغر، فقد أخرجه:

مسلم،[3] من طريق هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، حدثني عبد الحميد بن جعفر، أن عمران بن أبي أنس، عنه بلفظ: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء».

٤- وأما حديث عمر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، فقد أخرجه:

أبو داود الطيالسي في مسنده،[4] من طريق أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عنه، بلفظ: أن أبا بصرة لقي أبا هريرة وهو جاء فقال: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الطور صليت فيه قال: أما إني لو أدركتك لم تذهب إني سمعت

---

(١) شرح مشكل الآثار للطحاوي باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ٢ / ٥٧ ح رقم ٥٨٦

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي باب بيان مشكل ما روي عنه عليه السلام في المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ٢ / ٥٧ ح رقم ٥٨٨

(٣) صحيح مسلم ١٥- كتاب الحج ٩٥-باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢ / ١٠١٤ ح رقم ١٣٩٧ (٥١٣)

(٤) المسند لأبي داود الطيالسي ٢ / ٦٨٥ ح رقم ١٤٤٥

رسول الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

٥- وأما حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري، فقد أخرجه:

أبو يعلى في مسنده،[١] من طريق محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح، عن زيد بن أسلم بلفظ: أن أبا بصرة حميل بن بصرة لقي أبا هريرة وهو مقبل من الطور، فقال: لو لقيتك قبل أن تأتيه لم تأته، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تضرب أكباد المطي إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

٦- وأما حديث خيثم بن مروان فقد أخرجه:

الطبراني في الأوسط،[٢] من طريق محمد بن العباس المؤدب قال نا سريج بن النعمان قال: نا حماد بن سلمة، عن كلثوم بن جبر، عنه بلفظ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الخيف، ومسجد الحرام، ومسجدي هذا»، وقال: لم يرو هذا الحديث عن كلثوم بن جبر إلا حماد بن سلمة، ولم يذكر «مسجد الخيف» في شد الرحال إلا في هذا الحديث.

النقطة الثانية: النظر في الأسانيد

بعد النظر في التخريج وتراجم الرجال وجدت أن رجال الحديث ثقات، وقد سلم الحديث من الشذوذ والعلة.

النقطة الثالثة: الحكم على الحديث:

هذا الحديث صحيح

---

(١) المسند لأبي يعلى الموصلي ١١ / ٤٣٥ ح رقم ٦٥٥٨

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٥ / ٢١١ ح رقم ٥١١٦

المطلب الثاني: بيان الحالة التاريخية وموقف المستشرقين ومن لف لفهم من الإمام الزهري

من خلال الوقوف على تخريج الحديث ومداراته عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقد ظهر أن الزهري لم ينفرد به، حتى يتهم بوضعه عن سعيد عن أبي هريرة، حيث قد رواه عن أبي هريرة ستة: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عمر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، وسليمان الأغر، وسعيد المقبري، وخيثم بن مروان كما مر في التخريج.

كما أن الحديث لم ينفرد به أبو هريرة، فقد رواه عن النبي ﷺ أبو سعيد الخدري، في حديث متفق عليه، ولفظ البخاري: «لا تسافر المرأة يومين إلا معها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين الفطر والأضحى، ولا صلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب، ولا تشد الرحال، إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام، ومسجد الأقصى ومسجدي».(١)

وكذلك رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بفلظ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى وإلى مسجدي هذا».(٢)

وكذلك رواه عبد الرزاق عن ابن عمر موقوفاً بلفظ: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ، والمسجد الأقصى».(٣)

---

(١) صحيح البخاري ٢٠ - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب مسجد بيت المقدس ٢ / ٦١ ح رقم ١١٩٧، وفي ٢٨ - كتاب جزاء الصيد -باب حج النساء ٣ / ١٩ ح رقم ١٨٦٤، وفي ٣٠ - كتاب الصوم -باب صوم يوم النحر ٣ / ٤٣ ح رقم ١٩٩٥ ومسلم ١٥ - كتاب الحج ٧٤ -باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢ / ٩٧٥ ح رقم ٨٢٧

(٢) أخرجه ابن ماجه ٥ -كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها ١٩٦ - باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ١ / ٤٥٢ ح رقم ١٤١٠

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٢ - كتاب المناسك باب ما تشد إليه الرحال والصلاة في مسجد قباء ٥ / ١٣٢ ح رقم ٩١٦٠

إن مصدر هذه الفرية على الإمام الزهري هم المستشرقون، وقد تلقفها أذنابهم بكل ترحاب، حيث كان من مبدأ المستشرقين أنهم يقولون إن الحديث النبوي منشؤه الإلهام، بمعنى أنه إذا كان هناك حدث مهم داخل الدولة وهي في اضطراب فإن المحدثين يبتكرون أحاديث لمجاراة هذا الحدث وذلك باختراع نص يتوافق مع هوى الدولة في حينها.

قال المستشرق كريستيان لانجه: «وقد تتبع «شاخت» في كتابه مصادر الفقه المحمدي -كذا قال كريستيان-، «جولد تسيهر» في أغلب آرائه، ولكنه انتقد تحليل العلماء الغربيين للحديث؛ لأنه -حسب رأي جولد تسيهر- اعتمد على الإلهام، ولم يعتمد على أي أدلة قطعية». كذا قال.

فقلت له كيف ذلك؟ فضرب لي هذا المثل، فقال: جاء جولد تسيهر لحدث تاريخي ووجد أن هناك مثلاً نصاً نبوياً يشابهه، فقال: إن هذا الحدث التاريخي هو الذي كان سبباً في وجود الحديث، وقد انتقد شاخت هذا الأسلوب....».[1]

قلت: أي أن جولد تسيهر -وهو من هو في مكانته للمستشرقين حيث يُعد الأب الروحي لهم- ومن تأثر به يعتبرون الأحداث السياسية هي السبب المباشر في نشأة السنة النبوية، وأنها نتاج لذلك.

إن معنى اعتماد تحليل العلماء الغربيين للحديث على الإلهام يبين لنا أنه لا يوجد أصلا عند هؤلاء المستشرقين ما يسمى بالأمانة العلمية والحياد العلمي النزيه، وما يسمي في علم المنطق بالمقدمات والنتائج في تحليل النصوص، وأن وضع النظريات إنما هو بالإلهام، وما يمليه الخاطر، وبتشابه المفردات، وليس بالبراهين والأدلة القطعية التي لا تقبل الاحتمال.

---

(١) موقف المستشرقين المعاصرين من السنة عرض ونقد صـ ٢٠ وهو منشور في مجلة كلية أصول الدين بالمنصورة بعد قيامي بترجمته له مع كاتبه كريستيان لانجه وهو يعمل الآن أستاذ مساعداً في جامعة هارفارد ببوسطن بالولايات المتحدة وقد نشرته في العام ٢٠٠٥م

وكان من الأمثلة على ذلك: أنهم اتهموا الإمام الزهري بالكذب، وأنه هو الذي اخترع حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، وذلك إرضاء لعبد الملك بن مروان وذلك لما امتنع عن الحج لبيت الله الحرام، طالما كان عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين وقتها حاكماً لغالبية البلاد الإسلامية ومنها جزيرة العرب، مخافة أن يمنعه من الحج.

وهذا لا يصح أن يقال بأي حال، لأنه كما رأيت أخي القارئ أن الإمام الزهري لم ينفرد بالراوية بل شاركه غيره كما مر عند تخريج الحديث.

ثم إن المستشرقين ومن لف لفهم ممن يدعي أنه يبحث عن الحقيقة لا يمكن أن يقبل بهذا الكلام؛ لأنه يخالف أموراً هي أوضح من الشمس في رابعة النهار.

١- إن الإمام الزهري ولد سنة إحدى وخمسين من الهجرة، ولم يتمكن عبد الملك بن مروان من الحكم إلا بعد أن استشهد الخليفة عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، ولم تصح لعبد الملك خلافة إلا بعد هذا التاريخ، ووقتها تمكن من زيارة البيت الحرام؛ قال السيوطي: عبد الملك بن مروان بن الحكم ولد سنة ست وعشرين، بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته، وبقي متغلباً على مصر، والشام، ثم غلب على العراق وما والاها، إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فصحت خلافته من يومئذ، واستوثق له الأمر.[1]

أي أن عُمر الإمام الزهري وقت أن تمكن عبد الملك من الخلافة كان ثنتان وعشرون عاماً فقط، فكيف بمثله وبمن هو في هذا العمر أو دونه أن يقترب من باب عبد الملك بن مروان، ليس هذا فقط بل يملي عليه حديثاً! ثم يقتنع عبد الملك بن مروان بهذا الحديث، فيسخر المال والرجال ويقوم بإعمار المسجد الأقصى -رده الله تعالى إلينا غير منقوص- إن هذا كلام بعيد جداً عن

(١) تاريخ الخلفاء صـ ٢١٤، ٢١٥

الواقع والتاريخ.

إن من يقوم بذلك لابد أن يكون مشهوراً ذائع الصيت، قد بلغ علمه الآفاق، حتى يسكت عليه علماء عصره على ما يقوله، وهذا كله لم يكن متوفراً في الزهري رحمه الله تعالى.

ثم إن النصوص التاريخية تفيد أن الزهري لم يكن رأى عبد الملك ابن مروان إلا في حدود سنة ثمانين، أي بعد استشهاد الخليفة عبد الله بن الزبير بسبع سنوات تقريباً، قال الذهبي: وفد في حدود سنة ثمانين على الخليفة عبد الملك فأعجب بعلمه، ووصله، وقضى دينه.[1] فكيف يقال إن الإمام الزهري هو الذي افترى هذا الحديث تلبية لرغبة عبد الملك في إعمار المسجد الأقصى ليسد به الخلل الناشئ من عدم تمكنه من الصلاة في المسجد الحرام.

ثم إن حديث «لا تشد الرحال» لم ينفرد به الإمام الزهري، حتى يقال ما قيل، فقد رواه غيره،[2] بل إن أبا هريرة راوي الحديث لم ينفرد به، فقد رواه أيضاً أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، رضي الله تعالى عن الجميع[3]

وهذه القصة التالية التي أخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى تبين أن الزهري لم يدخل على عبد الملك بن مروان إلا بعد أن تم له الأمر بعد استشهاد عبد الله بن الزبير، وبالتالي فلا حاجة للادعاء بالقول إن الزهري اخترع الحديث ليرضي عبد الملك.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٩، ١١٠

(٢) كما سبق في تخريج متابعات الحديث قبل قليل.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٥-كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١٩٦-باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ١ / ٤٥٢ ح رقم ١٤١٠ من حديث أبي سعيد وعبد الله بن عمرو، وعبد الرزاق في المصنف كتاب المناسك باب ما تشد إليه الرحال ٥ / ١٣٢ ح رقم ٩١٥٩ من طريق أبي سعيد و٩١٦٠ من رواية عبد الله بن عمر موقوفاً عليه، والحميدي في مسنده ٢ / ٣٣٠ ح رقم ٧٥٠ وأبو يعلى ٢ / ٣٨٨ ح رقم ١١٦٠ كلاهما من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عن الجميع

قال ابن سعد حاكياً عن الزهري ..... فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب وتركت ابن ثعلبة، وجالست عروة، وعبيد الله، وأبا بكر بن عبد الرحمن، حتى فقهت، فرحلت إلى الشام، فدخلت مسجد دمشق في السحر، وأممت حلقة، وجاه المقصورة عظيمة، فجلست فيها.

فنسبني القوم، فقلت: رجل من قريش، قالوا: هل لك علم بالحكم في أمهات الأولاد؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب، فقالوا: هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب (كان وزيراً لعبد الملك ت ٨٧ هـ)، وهو حاميك، وقد سأله أمير المؤمنين، وقد سألنا فلم يجد عندنا في ذلك علماً، فجاء قبيصة فأخبروه الخبر، فنسبني فانتسبت، وسألني عن سعيد بن المسيب ونظرائه، فأخبرته.

قال: فقال: أنا أدخلك على أمير المؤمنين، فصلى الصبح، ثم انصرف فتبعته، فدخل على عبد الملك، وجلست على الباب ساعة، حتى ارتفعت الشمس، ثم خرج الآذن، فقال: أين هذا المديني القرشي؟ قلت: ها أنا ذا، فدخلت معه على أمير المؤمنين فأجد بين يديه المصحف قد أطبقه، وأمر به فرفع، وليس عنده غير قبيصة جالساً، فسلمت عليه بالخلافة، فقال: من أنت؟ قلت: محمد بن مسلم.

وساق آباءه إلى زهرة، فقال: أوه قوم نعارون في الفتن، قال: وكان مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير، ثم قال: ما عندك في أمهات الأولاد؟ فأخبرته عن سعيد، فقال: كيف سعيد، وكيف حاله؟ فأخبرته، ثم قلت: وأخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فسأل عنه.

ثم حدثته الحديث في أمهات الأولاد عن عمر، فالتفت إلى قبيصة، فقال: هذا يكتب به إلى الآفاق، فقلت: لا أجده أخلى منه الساعة، ولعلي لا أدخل بعدها. فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحمي، وأن يفرض لي فعل.

قال: إيهاً الآن، انهض لشأنك، فخرجت والله مؤيساً من كل شيء خرجت له، وأنا يومئذ مقل مرمل، ثم خرج قبيصة فأقبل علي لائماً لي، وقال: ما حملك على ما صنعت من غير أمري؟ قلت: ظننت والله أني لا أعود إليه.

قال: ائتني في المنزل، فمشيت خلف دابته، والناس يكلمونه، حتى دخل منزله فقلما لبث حتى خرج إلي خادم بمائة دينار، وأمر لي ببغلة وغلام وعشرة أثواب، ثم غدوت إليه من الغد على البغلة، ثم أدخلني على أمير المؤمنين، وقال: إياك أن تكلمه بشيء وأنا أكفيك أمره.

قال: فسلمت، فأومأ إلى أن اجلس، ثم جعل يسألني عن أنساب قريش، فلهو كان أعلم بها مني، وجعلت أتمنى أن يقطع ذلك لتقدمه علي في النسب.

ثم قال لي: قد فرضت لك فرائض أهل بيتك، ثم أمر قبيصة أن يكتب ذلك في الديوان، ثم قال: أين تحب أن يكون ديوانك مع أمير المؤمنين هاهنا أم في بلدك؟ قلت: يا أمير المؤمنين أنا معك.

ثم خرج قبيصة، فقال: إن أمير المؤمنين أمر أن تثبت في صحابته، وأن يجري عليك رزق الصحابة، وأن يرفع فريضتك إلى أرفع منها، فالزم باب أمير المؤمنين، وكان على عرض الصحابة رجل، فتخلفت يوما أو يومين، فجبهني جبها شديداً، فلم أتخلف بعدها.

قال: وجعل يسألني عبد الملك: من لقيت؟ فأذكر من لقيت من قريش، قال: أين أنت عن الأنصار، فإنك واجد عندهم علماً، أين أنت عن ابن سيدهم خارجة بن زيد، وسمى رجالا منهم. قال: فقدمت المدينة فسألتهم، وسمعت منهم. قال: وتوفي عبد الملك.(١)

فمتى إذا حدثه بحديث إعمار المسجد الأقصى وقد دانت له الأرض؟!

فقول عبد الملك معلقاً على سياق الزهري لنسبه وفيه اسم والده: أوه قوم نعارون في الفتن، قال: وكان مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير. يدل على أن الأمر قد استقر لعبد الملك. وأن دخول الزهري عليه كان بعد استشهاد عبد الله بن الزبير، وبالتالي فلا حاجة لترضيته بزيارة المسجد الأقصى بدلاً عن المسجد الحرام، باختراع هذا الحديث واتهامه بالكذب.

---

(١) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٢

ثم إن ابن شهاب كان ذو شخصية قوية، لا يخشى في الله تعالى لومة لائم، فقد روى ابن عساكر،[1] والذهبي،[2] عن الشافعي قال: حدثنا عمي، قال: دخل سليمان بن يسار على هشام ابن عبد الملك فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم، قال: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: كذبت هو علي بن أبي طالب، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول.

فدخل ابن شهاب الزهري، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبيّ، قال: كذبت، هو عليّ، فقال له: أنا أكذب!! لا أبا لك، فو الله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة أن الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبيّ.

قال: فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل فو الله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك. أ. هـ

فهذه الحادثة وأمثالها كثير تظهر لنا مدى ورع الإمام الزهري وصدعه بالحق الذي يعتقده دون وجل أو خجل.

٢- ثم كيف لمثل الإمام الزهري أن يكذب على رسول الله ﷺ؟ وقد وصفه العلماء بأنه من الحفاظ، وهم لا يزكون أحداً إلا بعد أن ينظروا في دينه وحاله وينقدوه كما ينبغي وهم أيقظ الناس؛ قال العجلي: مدني تابعي ثقة.[3] وقال الذهبي: الإمام العلم، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام.[4] وقال الحافظ: أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته.[5]

٣- كيف سيسكت عليه علماء عصره، الذين نقل عنهم كسعيد بن المسيب،

---

(١) تاريخ دمشق ٥٥ / ٣٧١

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٤١

(٣) تاريخ الثقات ٢ / ٢٥٣ ت رقم ١٦٤٥

(٤) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٢٧

(٥) تقريب التهذيب صـ٥٠٦ ت رقم ٦٢٣٩٦

وهو من هو في صلابته في الحق، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو من ففقهاء المدينة السبعة؛ لأن الأمر إن كان كما يقول المستشرقون ومن لف لفهم، فإن من روى عنهم الزهري سيقولون إنهم لم يحدثوا بذلك، وسيكذبونه، وسيطر تكذيبه في الآفاق، ولما، فلما.

٤- إن الزهري إن كان حدث بهذا الحديث الذي ليس عند النقاد، فطبيعي أنه لم يحدثه به ليخفيه عبد الملك عن الناس، بل إن الحديث سينتشر انتشار النار في الهشيم، إن لم يكن من عبد الملك، فمن وزراه وجلسائه، ومن الطبيعي أن يبلغ الحديث كبار نقاد عصره، فلو لم يكن عندهم لعارضوه واتهموه بالكذب والافتراء، ولنقل ذلك في كتب الجرح والتعديل، ولما. فلما. هذا إن قلنا إن الإمام الزهري قد حدث به عبد الملك من الأصل على وجه الخصوص، وليس في مجلسه العلمي الذي كان يعقده لسماع الحديث.

والله تعالى أعلى وأعلم وأعز وأحكم

- الإمام الزهري ركن ركين في تحمل الحديث وأدائه، والطعن فيه طعن في جانب كبير من السنة النبوية

- لم يسجل التاريخ أي كذبه على الإمام الزهري.

- كان الإمام الزهري صداحاً بالحق لا يخشى فيه لومة لائم.

- نال الإمام الزهري التزكية من علماء عصره ونقاده ولو كان كذاباً ما منحوه تلك الشهادة على إمامته.

- دخول الإمام الزهري على الخلفاء لم يكن تكسباً بعلمه فيفتري على رسول الله ﷺ الكذب، وإنما من باب النصيحة وتبليغ العلم. وقصته مع هشام بن عبد الملك السابقة في ثنايا البحث خير دليل.

- من أراد أن يكذب الإمام ابن شهاب الزهري فليأت بدليل، ولا دليل.

- لا يزال المستشرقون وأذنابهم من المستغربين يطعنون في رموزنا؛ لذا وجب الحذر.

والحمد لله رب العالمين

الثلاثاء: ٢٥ / ٩ / ٢٠١٨ – ١٥ / ١ / ١٤٤٠ هـ

قائمة المراجع

- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: تأليف الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي ت ٩٣٧ هـ وهو ترتيب لصحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي ت ٤٥٣ هـ المسمى بالتقاسيم والأنواع تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط طبعة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م

- البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد العتكي المعروف بالبزار ت ٢٩٢هـ تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، طبعة مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. الطبعة الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م

- **تاريخ الثقات،** لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ت ٢٦١ هـ طبعة دار الباز، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م

- **تاريخ الخلفاء** للحافظ جلال الدين السيوطي طبعة دار مصر للطباعة الرابعة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

- **تاريخ مدينة دمشق**، تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمروي طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

- **تذكرة الحفاظ**، للإمام الحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ت ٧٤٨ هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت بدون.

- تقريب التهذيب: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ حققه وعلق عليه وقدم له الأستاذ عادل مرشد طبعة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٦م ١٤١٦ هـ

- **سنن ابن ماجه بشرح السندي**: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣هـ تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا طبعة دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

- **سنن أبي داود:** للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ طبعة دار الريان للتراث القاهرة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م

- **سنن الدارمي**: للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ت ٢٥٥هـ تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع طبعة دار الريان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

- **سنن النسائي:** للإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن بحر أبو عبد الرحمن النسائي ت ٣٠٣ هـ طبعة دار الحديث القاهرة بدون.

- **سير أعلام النبلاء،** للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ هـ أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط طبعة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثامنة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

- السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ طبعة دار المعرفة بيروت لبنان توزيع مكتبة التعارف بالرياض بدون.

- **شرح مشكل الآثار** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الطحاوي ت ٣٢١ هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط طبعة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٤م- ١٤١٥هـ

- صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت ٢٥٦هـ طبعة دار الفكر بيروت لبنان ١٤١٤هـ ١٩٩٤م وهي مرقمة الأحاديث.

- صحيح مسلم: للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ حقق نصوصه وصححه ورقمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي.

- **الطبقات الكبرى،** للإمام محمد بن سعد بن منبع الهاشمي المعروف بابن سعد ت ٢٣٠هـ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م